جامعة تلمسان

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

قسم علم الآثار **السنة الجامعة: 2020 – 2021**

المستوى: ماستر2 السداسي: الثاني التخصص: الآثار الإسلامية

عنوان المقياس: مصادر الجزائر في العصر الحديث

أستاذ المادة: أ.د بلحاج معروف

Email:archeomarouf@gmail.com

عنوان الدرس كتاب "عجائب الأسفار ولطائف الأخبار "لأبي راس الناصر

كتاب" عجائب الأسفار ولطائف الأخبار" لأبي راس الناصر

نبذة عن حياة المؤلف:

هو محمد أبو راس بن أحمد بن ناصر الراشدي، العلامة المحقق الحافظ، وُلِد بنواحي مدينة معسكر بين جبل كرسوط وهونت يوم 8 صفر 1165هـ/ 27 ديسمبر 1751م. وكان قد شارك في الجهاد لفتح وهران سنة 1206هـ/ 1792م إلى جانب الباي محمد بن عثمان. كانت أولى رحلاته إلى الجزائر العاصمة التي لقي بها الفقيه القاضي المفتي محمد بن سعدون، والقاضي الفقيه الشيخ محمد بن المبارك.، ثم دخل "قسمطينة" (هكذا يذكرها)، فأتاه علماؤهليسلّمون عليه، ومنهم قاضي الجماعة الونيسي.

أما شيوخه فكان أّولهم، حسبما يخبرنا به، والده الشّيخ أحمد الذي قرأ عليه شيئاً من سورة البقرة، ثّم الشّيخ علي التّلاوي الذي قرع رأسه ذات مرّة،لأنّه لم يحسن كتابة صورة حرف الفاء، فلم يعد إليه ولا إلىمعلّمالصّبيان أبداً .

ولّما أتّم القرآن جمعاً ، أتى الشّيخ منصور الضّرير لإتقان القراءة، ثّم لزم ابن الجزري ليفيد منه فنّ القراءةوالتّجويد، وكذلك قاضي "أم عسكر" لقراءة الفقه، وأيضاً الشّيخ علي بن الشّنين. وأخذ الفرائض عن الشّيخ البدالي، كما قرأ الفقه على الشيخ ابن علي ابن الشيخ أبي عبد الله المغيلي.

ومن شيوخه في الفقه أيضاً ، العربي بن نافلة، وأخوه أحمد وابنه أحمد، وكذلك الشّيخ محمد الصّادق بن أفغول، ومن شيوخه أيضا محمد بن قاسم المحجوب عالم إفريقية. ومن كبار شيوخه وأجلائهم، نذكر عبد القادر بن عبد الله المشرفي، كما يذكر شيخه الإمام محمد مرتضى.

كانت وفاة العلامة أبي راس الناصر يوم الخامس عشر من شعبان من سنة ثمان وثلاثين ومائتين وألف للهجرة 1238هـ/1823م عن عمر ناهز التسعين سنة، ودُفن قرب داره بعقبة بابا علي بمعسكر أين يوجد ضريحه الذي أقيمت عليه بناية أصبحت مزارا للناس إلى يومنا.

وعن مؤلّفاته فقد أكثر أبو رأس في التأليف على غير عادة علماء المغرب المعاصرين له، وأسوته في ذلك الإمام جلال الدين السيوطي، حيث يقول:" إنما عددت تأليف وحملة تصانيفي اقتداء بالإمام السيوطي...، وما أعلم أحداً أكثر التأليف بعده غيري والكمال الله".

وقد تعرّفنا على مؤلفاته ممّا جاء في كتابه" فتح الإله"؛ فقد عقدباباً ، وهو الخامس، خصّصه لذلك وسّماه:" العسجد والإبريز"، وفيما يلي عرض لها:

- مجمع البحرين، ومطلع البدرين، بفتح الجليل، للعبد الذّليل، فيالتّيسير إلى علمالتّفسير"، في ثلاثة أسفار.

- "تقييد على الخرّاز"و"الدّرر اللّوامع"و"الطِّراز"

-" الآيات البيِنّات، في شرح دلائل الخيرات"

- "مفاتيحالجنّة وأسناها، في الأحاديث التي اختلف العلماء في معناها".

- "السّيف المنتضى، فيما رويت بأسانيد الشّيخ مرتضى"

التعريف بالكتاب:

يشتمل الكتاب على 190 صفحة، وهذا في أغلب نسخه المخطوطة، وهكذا جاء في أغلب المؤلفات المتحدثة عنه. غير أن محمد بوركبة في تحقيقه ذكر 165 صفحة، لا ندري إن كانت عدد صفحات الجزء الاول الذي حققه، أو الكتاب كله، كما أنّ محمد غانم صاحب التحقيق الآخر ذكر أنّ الكتاب ينقسم إلى جزئين:

فأما الأول فيشتمل في 92 ورقة ويتضمن شرح 63 بيتا

وأما الثاني فيشتمل على 73 ورقة يتضمن شرح 55 بيتا

كتاب "عجائب الأسفار ولطائف الأخبار" للشيخ أبي راس الناصري الجزائري المتوفى سنة 1823م، بتحقيق الدكتور بوركبة محمد وقّسم المحقّق الكتاب إلى قسمين: الأوّل خصّصه للدراسة وفيه يحتوي على أربعة فصول، في حين خصّص الثانيللتّحقيق.

تناول في الفصل الأوّل من القسم الأوّل حياة أبي راس الناصري، من مولدهحتّى وفاته، إضافة إلى شيوخه ورحلاته العلمية إلى أقطار العالم العربي والإسلامي من الجزائر إلى العراق. كما تكلّم الباحث عن المهام والمناصب والوظائف الّتي تقلّدها الشيخ وتطّرق أيضاً إلى تلامذته وآثاره العلمية ومؤلفاته.

في حين تضمّن الفصل الثاني عصر أبي راس وأوضاعه السياسية الّتي عرف فيها محنته من خلال حروب درقاوة (1219هـ / 1804م). كما تحدّث عن الجانب الإداري مركّزاً فيه على دار السلطان وبايلك الشرق والغرب والتيطري، والأوضاع الاجتماعية والحياة العلمية الثقافية.

بينما تمحور الفصل الثالث حول دراسة مخطوط "عجائب الأسفار ولطائف الأخبار" والمصادر الأساسية الّتي تناولت ودرست فتح مدينة "وهران"، وتطّرق إلى المناسبة الّتي ألّف فيها هذا المصدر أو الكتاب.

أمّا في الفصل الرابع فقد وصف المخطوط في جزئيه الأوّل والثاني من حيث أسلوب وطريقة ومنهج المؤلّف.

محتوى الكتاب:

كتاب "عجائب الأسفار ولطائف الأخبار" لأبي راس الناصريُ، يعد وثيقة ومصدر علمي وتاريخي مهم ومن الآثار القليلة الباقية لهذا العلاّمة، فهو يؤرخ لمدينة وهران الجزائرية والثغور المغاربية في مرحلة الزحف الإسباني على المنطقة، ويسلط الضوء عن الأوضاع السياسية الّتي عرف فيها المؤلف أبي راس محنته من خلال حروب درقاوة (1219هـ / 1804م)، كما تحدث فيه عن الجانب الإداري ّ مركزاً على دار السلطان وبايلك الشرق وبايليك الغرب وبايليك التيطري، ويروي فيه الأوضاع الاجتماعية والحياة العلمية والثقافية، وكان الغرض من تأليف هذا الكتاب هو ذكر "فتح مدينة وهران" كما أخبر هو بنفسه في مقدمته، يقول المؤلف: "... الغرض من هذا الكتاب في ذكر فتح وهران ومدح الفاتح لها وهو نادرة الزمان وقبلة الإحسان سيدي محمد بن عثمان باي..."

وقد شرح فيه قصيدته السينية المشهورة "الحلل السندسية في شأن وهران والجزيرة الأندلسية"، وهي منظومة أنجزها ابتهاجا وتخليدا لفتح مدينة وهران، وبأمر من الملك محمد بن عثمان باي الذي طلب منه أن يقوم بشرحها بعدما اطلع عليها، يقول:"... وبعدما قضيت ونمقت في وزنها من البحر الكامل ذهبت بها إلى حضرة الملك الأفضل الفاضل قرأ بعضها ومدح معناها ولفظها وأمرني بشرح يظهر لباب تراكيبها... " والتي مطلعها:

طيب الرياح جميع أرض الله جسي *** وبشرى إليكم مع الجن والإنس

والتي قام بنشرها مفردة دون شرح وتمت ترجمتها إلى الفرنسية من قبل الجنرال (فور بيجي)، وصدرت نسختها الأولى سنة 1903 بمطبعة بيير فونتانا الشرقية في الجزائر

ينقسم المصدر إلى جزئين:

فأما الجزء الأول فيتضمن شرحا لـ63 بيتا، تكلم فيه المصنف عن تأسيس مدينة وهران والدول التي تداولت على حكمها، وماذا جرى لها من أمور ومدة استقرار المسيحيين فيها؟.

وأما الجزء الثاني فيتضمن شرحا لـ 55 بيتا، وتتحدث عن الفتح العظيم لوهران ومدح من فتحها.

تمتاز لغة الكتاب بالسهولة والوضوح، وهي لغةٌ متميّزة، مطابقة لأسلوب عصره، ونلاحظ ذلك جليا في جميع مؤلفاته التاريخية الأخرى، فهي تجمع بين محتوى التاريخ، ومظهر الأدب في وقت واحد، إذ تمتزج فيه الرواية بالنقل وتصبغ الحقائق التاريخية بالعواطف.

ومع إتقانه للغة العربية، إلاّأنّنا نجده كثيرا ما يلجأُ إلى استعمال كلمات عربية بنطق عامي مثل "خْزْنُوا"، و"حْبْس"، و"اَحْوْزْة"، و"ا لْمْزِيّة"، في حين يستعمل كلمات أخرى مثل: "البونبة"، و"مْهْنِيِين"، "مْضُورِين". وما يمكن استخلاصه هو أنّ لغة أبي راس الناصر في مخطوطه" عجائب الأسفار ولطائف الأخبار" قد اتسمت بما يلي:

- توظيفه لبعض التعابير العامية والمفردات غير الفصيحة شأنه في ذلك شأن علماء عصره سواء في المغرب أو في المشرق.

- لجوءه إلى استعمال بعض التراكيب اللغوية للتعبير عن واقع ذلك العصر، وهذا ما ذهب إليه أبو القاسم سعد الله، حين تعرّض إلى هذه المسألة بقوله: "وأسلوب أبي راس الناصري على العموم بسيط ويكاد يشبه العامي أحيانا، فهو ينقل كثيرا عن غيره".

عدم ترتيبه للمعلومات وتداخل الروايات والتكرار، حيث يأخذ بالطريقة التقليدية وينتهج ما كان متّبعًا في عهده، فيسجّل الأحداث ويروي القصة مع الاستشهاد بالقرآن الكريم، الحديث النبوي والأمثال والحِكم نقلا عن ابن خلدون.

- إلتزامه بالأمانة العلمية في نقله من المصادر واهتمامه بآراء العلماء والمؤرخين الذين نقل عنهم، وإبراز آرائهم ومواقفهم ومناقشتها في بعض الأحيان بما يدعو إلى التأييد أو المخالفة، من ذلك ما ذكره عن انتشار الإسلام في بلاد المغرب، حيث يورد آراء مجموعة من المؤرخين والعلماء مثل: ابن كثير، ابن عباس، ابن السائب.

- استهلال فقراته بعبارات متنوعة منها: والحاصل، واعلم، وأّما، وكما، ثم أنّ، والأمثلة كثيرة في المخطوط، فهو بذلك يجتهد في تلوين أساليبه بعبارات مختلفة أثناء الشرح.

- لقد بلغت شواهده الشعرية مائتان واثنان وعشرون شاهدا، معظمها منسوب، إلاّ القليل، مستعملا الإحالة بقوله: قال شاعرهم، أو قال الشاعر، وقال بعضهم. وكان في استشهاده بالشعر يذكر البيت تارة، وتارة أخرى يذكر مطلع القصيدة ببيتين أو ثلاثة، وتارة يذكر القصيدة كاملة.

بناء على قراءتنا لكتاب عجائب الاسفار ولطائف الأخبار، تم تسجيل ملاحظات يمكن تلخيصها في النقاط التالية:

1 - المواضيع التي عالجها الكتاب دقيقة ومفيدة، إلى أنها جد مختصرة.

2 - عزز أراءه بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وطابق، وقارن بين أقوال المؤرخين، إلا أنه لم يشكل الآيات القرآنية والأحاديث النبوية

3 - ركز على العبادات والعقائد الدينية، وأعطى أهمية للحروب والقتال، وأهمل الكلام عن الظروف العامة والخاصة التي أدت إليها، والانعكاسات والنتائج التي آلت إليها، لا سيما وأن الظروف والعوامل المختلفة: الاقتصادية، الاجتماعية، السياسية، العسكرية ...إلخ تعد عناصر هامة في فهم وتفسير التاريخ

4 - مع أنه ضبط الكثير من الوقائع الواردة في صلب الموضوع بذكر زمانها ومكانها ومصدرها، إلا أننا نراه أكثر من مرة يحيل القارئ إلى مكان آخر من المخطوط ُمكتفيا باستعمال عبارة:" انظر ما مر"، " كما مر"، " ذلك وقد مر مفصلا" من دون أن يحدد مكانها من المخطوط تسهيلا للقارئ في الرجوع إليها.

5 - ورود عبارات لا تنم عن الدقة التي هي مطلوبة في الكتابة التاريخية العلمية مثل: "قال بعض المؤرخين" و قوله: "زعم بعض" و قوله :" أنظر التفاسير" و قوله:" أنكر ذلك المحققون".

المراجع:

محمد بن أحمد أبي راس الناصر، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، تقديم وتحقيق محمد غالم، منشورات CRASC، د.ت.

https://democraticac.de/?p=68559
https://essalihine.yoo7.com/t244-topic